



## **تربويات التقنيات بين الأمان والإدمان**

**إعداد**

**أ.د/ خالد محمود محمد عرفان  
عميد كلية التربية بنين القاهرة**

## تربويات

### التقنيات بين الأمان والإدمان

تطورت التقنيات في العصر الحالي تطورا مذهلا، وغزت جميع مجالات الحياة، ولا يستطيع أحد أن ينكر أهميتها ودورها في تقريب المسافات، والتغلب على العقبات، وتخزين وإدارة ومعالجة المعلومات، وأداء المهام الصعبة في دقة متناهية دون أخطاء في أقصر وقت ممكن، وكل يوم تقدم لنا الجديد في جميع المجالات، وأصبحت كالماء والهواء، يستخدمها الجميع بسهولة ويسر فاتحة نوافذ على العالم أجمع، كل يجد فيه ضالته المنشودة، وأصبح لفظ تقنيات يتبعه جميع المجالات؛ تقنيات الزراعة، تقنيات الصناعة، تقنيات التعليم.. وهكذا.

ويعد التعليم من أكثر مجالات توظيف التقنيات، فتعددت النظريات والنماذج والآليات والأدوات والتطبيقات والبرامج وغير ذلك؛ فأصبحنا نعيش في زحام تقني تداخلت فيه العناصر والمكونات والمسئوليات والتسميات والمفاهيم، وأصبح كل من يريد أن يدخل مجال التعليم يربط نفسه بالتقنيات بشكل أو بآخر صحيح أو غير صحيح، حتى وصل الأمر إلى حد أن عالم التقنيات أصبح مهنة من لا مهنة له لغياب المرجعيات وتداخل التخصصات.

وبناء على ما سبق استخدمت التقنيات بشكل صارخ من غير أساس علمي، لأن توظيفها على يدي غير المتخصصين فأصبح لدينا إسهال تقني مزمن، أصاب مستخدمي التقنيات بالكثير من الهزال والضعف، وأصبحت التقنيات هي المرض لا العلاج، وأصبحنا نعاني من آثار سلبية كبيرة جراء الإفراط في استخدام التقنيات في مختلف المواقف التعليمية والحياتية، وصرنا نعاني اليوم من العديد من الأمراض التعليمية والاجتماعية والنفسية والأخلاقية التي ستفاقم مع مرور الوقت إذ لم نتصد لها بعلم واحترافية، واضعين أمام أعيننا مقولة: "إن ما زاد عن الحد انقلب إلى الضد".

وتتنوع مشكلات الإفراط في استخدام التقنيات: فعلى سبيل المثال لا الحصر:

مشكلات اجتماعية كانعزال الأطفال في عالمهم الافتراضي عن والديهم ومجتمعهم فهم يعانون من صعوبات في النمو اللغوي والاجتماعي الذي ينتج من خلال تفاعلهم مع أسرهم ومجتمعاتهم، فأصبح الوالدان في عالم والأبناء في عالم آخر، وتشعر أن أطفالنا كادوا أن يكونوا من ذوي الإعاقات العقلية فهم معك بأجسادهم بينما عقولهم ومشاعرهم معلقة بالعالم الافتراضي بما فيه من ألعاب ومثيرات جاذبة طوال اليوم، وانعزال بين الأزواج فكل منهما منهمك مع أصدقائه على شبكات التواصل وساهم ذلك فيما يسمى بالطلاق الصامت، فزادت المسافات، وتحجرت العواطف، وغاب الدفء، والحس المرهف بالآخر.

وقد ظهر ذلك كله فيما يسمى بالإدمان التقني والذي ترتب عليه قضاء جميع أفراد الأسرة أغلب وقتهم في عالم التقنيات حتى وصل الأمر إلى اصطحابهم لأجهزتهم المحمولة عند دخولهم دورات المياه، وهذا كله يصحبه هدر الوقت وضياع العمر وإهمال الأسرة والتعليم والعمل والسهر لفترات متأخرة من الليل والإجهاد الذهني الذي يترتب عليه أضرار جسدية مدمرة. وازداد الأمر سوء بسيطرة الألعاب الخطرة التي توجه الشباب والاطفال عن بعد للقيام بأفعال خطيرة كنوع من التحدي والذي يؤدي في كثير من الأحيان إلى الانتحار بتوجيه عن بعد من اللعبة التي تسيطر مع الوقت على أفكارهم ومشاعرهم.

أما عن الجانب الأخلاقي فحدث ولا حرج؛ تواصل غير شرعي بين الرجال والنساء، ومواد إباحية تعرض ليل نهار على شبكات الإنترنت من خلال مواقع موجهة تقدم ذلك ضمناً على صفحاتها أثناء التعامل معها على أنه نوع من الدعاية والإعلان.

أما في المؤسسات التعليمية فقد أهملت المدارس وخربت الفصول وتحول التعليم إلى عملية آلية شحن وتفريغ للمعلومات من خلال مواقع ومنصات واستراتيجيات تعليم تقنية صرفة ، "استشياخ التقنيات" قال الغزالي: "من استشياخ الصحيفة ضاع منه نصف العلم" ونسينا أن التعليم ليس فقط معلومات وإنما مهارات تكتسب بالتمذجة الحية والتدريب والممارسة الموجهة من قبل المعلم، وتفاعل إنساني تنقل من خلاله القيم والسلوكيات والتقاليد والعادات والمشاعر ونتعلم من خلالها مهارات عقلية واجتماعية وحياتية بالتفاعل الواقعي مع الحياة داخل المدرسة وخارجها في جو إنساني مفعم بالحيوية والنشاط، فأصبح التعليم معلباً ومصنعاً ضرره أكثر من نفعه ، وأصبحنا نقدم علماً فارغاً من التقنيات تخدعنا بمتغيراتها وبريقها، ونسينا أنه ليس كل ما يلمع ذهباً.

وأصبح الكتاب الإلكتروني فاقداً لبريقه الذي عهدناه الذي كنا نألف به فكراً ووجدانياً، ونشعر كأنه كائن حي نحدثه ويحدثنا ، نقلب صفحاته فتلامس قلوبنا، ونقرأ سطوراً فتسمو أرواحنا، تنمو أفكارنا، ونفتقده إن غاب عنا، ونحاوِرُه إن عاد إلينا، وكتب فيه الشعراء والأدباء القصائد والحكايات؛ يقول أحمد شوقي:

أَنَا مَنْ بَدَّلَ بِالْكَتَبِ الصَّحَابَا      لَمْ أَجِدْ لِي وَفِيًّا إِلَّا الْكِتَابَا  
صَاحِبٌ إِنْ عَيْتَهُ أَوْ لَمْ تَعِبْ.      لَيْسَ بِالْوَاجِدِ لِلصَّاحِبِ عَابَا  
كَلَّمَا أَخْلَقْتُهُ جَدَّدَنِي.      وَكَسَانِي مِنْ جَلِي الْفَضْلِ ثِيَابَا  
صُحْبَةً لَمْ أَشْكُ مِنْهَا رَبِيبَةً.      وَوَدَادٌ لَمْ يُكَلِّفْنِي عِتَابَا

وإذا كان هذا في الكتاب فما بالننا ببقية منظومة التعليم؛ لذا انتهت الدول المتقدمة مؤخرًا لهذا الأمر فاتخذت العديد منها قرارات حاسمة بتعليق استخدام التقنيات داخل المدارس بدءًا من الآلة الحاسبة انتهاء بتطبيقات الذكاء الاصطناعي؛ كي يعود التلاميذ لتشغيل عقولهم وجوارحهم مرة أخرى؛ فعادت السبورة السوداء والطباشير وعداد الحساب اليدوي والمعامل الواقعية والأنشطة الصفية وغير الصفية، وانطلق الدارسون إلى شواطئ الأنهار والبحار والمصانع والصحاري يدرسون واقعيا اللغة والعلوم والرياضيات ويمارسون أنشطة حياة تنمي المهارات اليدوية والعقلية والحياتية والاجتماعية، فاحتلت بذلك المقدمة في التصنيف العالمي للتعليم، ثم يستخدم الطلاب التقنيات بعد ذلك بدون آثار جانبية.

وفي المجال الاقتصادي أيضا حدث ولا حرج؛ فرغم استفادة الاقتصاد ونموه نتيجة للتقنيات إلا أنه يعاني أيضا من مشكلات عدة من جراء الإسراف في استخدامها واعتماده عليها اعتمادا كلية، بدء من السطو على حسابات الأفراد انتهاء بالهجمات السيبرانية؛ مرورًا بالأعطال التقنية والفيروسات والابتزاز والتجسس على المعاملات الاقتصادية؛ فقد ينهار بنك أو مؤسسة أو شركة بهجوم سيبراني من جماعات الهكرز أو دول معادية أو شركات منافسة فتتحول استثماراتها الضخمة إلى سراب بكبسة زر، لذا عليها أن تكون مستعدة بالأرشفة المطبوعة الآمنة كنوع من الاحتياط حفاظا على المؤسسة من الضياع، فلا تضع البيض كله في سلة واحدة.

بل وصل الأمر إلى وجود عملات رقمية مشفرة تستخدم على نطاق واسع يصعب تتبعها ومراقبتها فهي تستخدم في غسيل الأموال والتجارة المشبوهة وقد ارتفعت قيمتها بشكل جنوني يهدد الإقتصاد المحلي والعالمي.

إن كل ما سبق لا يقلل من دور التقنيات الرائع في تسهيل جميع مجالات الحياة، ولكن بشرط الترشيد والتقنين والتوظيف والاعتدال، فكما يقول إفلاطون "الفضيلة وسط بين رذيلتين" وان الاعتماد على التقنيات بشكل كلي لا يكون إلا عند الضرورة كجائحة كورونا وغيرها، مع توفير تقنيات أكثر تفاعلية ومحاكاة للواقع.



ويكفي أن نأخذ في هذا المجال أن نأخذ من وسطية الإسلام بين الإفراط والتفريط منطلقا لتوظيف التقنيات باعتدال وفعالية في جميع مجالات الحياة، ولنتذكر دائما "أن استخدام التقنيات ينبغي أن يراعي "الأمان والإدمان".

هذا وبالله التوفيق

أ.د/ خالد محمود محمد عرفان

عميد كلية التربية بنين القاهرة